" الحُب وحدهُ لا يكفي "

فإبتعدت قائلة :

" انا أقف بين دربين!! إما أن أكمل معك وأربط عُصابة علي عيني حتي أخسر كل رصيد حبك في قلبي وأُعاني الندم!!

وإما أن أسير وحدي جسدًا وأحمل ما تبقي من حُب لك في قلبي لأُجابه بك الأيام؛ فتكون ملجأي.. بالحالتين سأُعاني... "

****

أرسل لها أكثر من رسالة، وإتصل بها أكثر من مرة لكنها لم تُجب! بدأت الأفكار تتلاعب برأسه وتتناوب عليه واحدة تلو الأُخري؛ لا يستطيع أن يطمئن عليها من أحدٍ غيرها! كانا قد إتفقا مُنذ بداية العلاقة ألا يكون بينهما وسطاء مهما تعقدت الأمور؛ وقد مضي علي هذا الحال ثلاث سنوات من الحُب،وسنة خطوبة لا وسطاء بينهما لا أحد يعلم بما يدور بحياتهم !!

فهو الأن بين أمرين؟!

إما أن يطمئن عليها من أحد أصدقائها، وإم أن يختار الإنتظار الذي يقتلهُ ببطئ شديد!!

أمضي ما يُقارب الإسبوع علي هذا الحال حتي غلبته الظنون؛ فإضطر أن يتصل بوالدتها ليطمئن عليها :

" **مالك** " شاب طموح مُكافح، في السابعة والعشرون من عُمره، تجتمع به صفات الشاب الشرقي الوسيم؛ ذو عينين يغلب عليهما البُني الداكن، ولحية مُنمقة تُزين مُنتصف وجهه، لا بالطويل المُتعالي، ولا بالقصير المُتدني؛ يعمل مُهندسًا بإحدى دول الخليج، تعرف علي " **سرمد** " من أربعة سنوات في الجامعة لكنه تخرج قبلها بعامين، وإستغل تفوقه الدراسي وإنتقل للعمل في إحدي الشركات الكبيرة!! لكن حاله مثل أي شاب عربي كل طموحه –

الهجرة _ أن ينتقل الي إحدي البلدان ويُفني عمره بها مُغتربًا فقط لجني المال!!

****

كانت " **سرمد** " تصغره بعامين، تدرس بنفس الجامعة التي يدرس بها، بل أنها بنفس الكلية ايضًا - الهندسة – ذات وجه ملائكي خالي من مساحيق التجميل التي تستعملها مُعظم الفتيات هذه الأيام، تمتلك عينين واسعتين وإبتسامة تخطف الألباب في حين رؤيتها. كانت كنجمة أُطلق عليها إسمها – نجمة سرميدة – لا تسقط!! الي أن وقعت في حُب " **مالك** " فأختارت السقوط علي أن تبقي حبيسة لسنوات بين أربعة جُدران! لا شئ بها غير أنها تُلفت الأنظار.

.....

_ السلام عليكم، كيف الحال يا خالتي..؟!

_ أهلاً بني، بخير وأنت؟!

_ الحمد لله

كُنت أريد منكِ أن تقولي لـ " **سرمد** " أني أريدها لأمر هام .. إتصلتُ بها كثيرًا ولكن ربما لم تنتبه!!

_ نعم، دقيقة.

سرمد، يا سرمد، إنتبهي للهاتف " مالك " يسأل عنكِ.

أجابت سرمد قائلة :

_ حسنًا، سأجيب.

عادت الأم الي حديثها مع مالك وتابعت قائلة :

_ ستتصل بك الأن.

_ حسنا، شكرًا جزيلا.

إنتظرها فلم تتصل، أرسل لها الكثير من الرسائل، وإتصل كثيرًا لكن عبثًا يحاول!

حادث عائلته إن كانوا قد أزعجوها، حادث صديقاتها إن كانوا يعلمون أي شئ عن سبب خصامها له، لكن الإجابة كانت واحدة : " لا شئ "

إنتظر حتي أخر الشهر وإستقل الطائرة وعاد الي البلاد لينظُر في أمرها، زارها وقت الظهيرة فأخبرته أمها أنها في الجامعة، تظاهر بأنه كان ينوي مفاجأتها فطلب من والدتها أن تعلم مكانها بالتحديد، وأن تتظاهر بأنها ستلتقيها في حديقة الجامعة بعد ساعة من الأن، وذهب الي هناك.

كان وجهها مصفرًا، عيناها مرهقتين، و ملامحها ذابلة بشكل لا يُطاق! بينما كانت تخطوا نحوه كان قلبه يدب علي وقعها، جلست فأقترب ووقف أمامها؛ رفعت نظرها نحوه ثم وقفت قائلة :

_ مالك!!

نظر لها وشوقه يُثقل لسانه وعِتابه يُضني قلبه :

_ ماذا فعلت؟!

تنهدت ثم قالت :

_ ليس هُنا دعنا نسير.

خيم صمت ثقيل بينهما حتي تجاوزا المكان، فقالت وهي ترفع يدها بلا دبله :

_ لقد أخذتُ قراري، جيد أنك لن تدعني أنتظر أكثر.

_ اااه، أخذتِ قرارك؟!

جيد، هل لي أن أعلم الأسباب؟! أم أن هذا ايضًا لا يحق لي معرفته؟!

أجابته وهي واضعة رأسها الي الارض :

_ لا أسباب.

ثم نظرت له بعمق وأردفت :

_ انا فتاة سيئة، كنت أكذب، كنت أمثل أني أحبك؛ أو ربما كنت أراك جميلاً قبل أن نُخطب وحيث ضمنتك زهدت بك.

أو...

أتدري لِمَ كل هذه الأعذار؟!

انا فتاة خائنة؛ لقد تعرفت علي رجل أخر في غيابك لذا تغيرت معك وما عدت تُلائمني.

أيكفيك هذا، أم تريد أن أضيف لك؟!

كان ينظر لها بصمت، بينما كان وجهها يقول شيئًا أخر، كان يروي قصة، خيبة، وجع، أرق، بكاء، وتعب!

_ ولأن فارقتيني والله ما خلعتُ ما وضعته يدكِ بيدي، ولا ذكرتك بيني وبين نفسي إلا وكان حبك وعطفك يُدثر قلبي.

لكن أتعلمين يا **" سرمد "** :

حين لم تردي على رسائلي في الأيام الأولى كان الغضب يملؤني، انظر للهاتف كل لحظة، مقسما أني لن أرد عليك بقدر الوقت الذي تركتني أنتظره!

هه، لكن بعد يومين ذاب الغضب، وبت أسأل نفسي عم فعلته قبيل ذلك!

راجعت كل شيء، المحادثات، المكالمات، الوعود!

تذكرت كل شيء، منذ تلك اللحظة التي عرفتك بها حين كنت في عامك الجامعي الثالث، وحتى هذه اللحظة!

لم أتوقف عن التفكير بك وبتفاصيلك لحظة واحدة!

لمت نفسي على الكثير، وبدأت أجلد ذاتي على كل لحظة كنت فيها معك ونظرت فيها لك على أنك شيء عادي..

على كل لحظة كنت أجادلك فيها أو أتعمد إزعاجك وممارسة فنون الحب عليك..

لقد لوى غيابك ذا ذراع قلبي، وأجثاني أمام حبك..

لكني..

نظر لها فأبعدت نظرها عنه:

لكني أوفيت!

فعلت كل ما استطعت فعله لتكوني لي!

حاربت عائلتي وعائلتك!

ولم أخذل قلبك لحظة!

سقطت دمعة هاربة منه، فمسحها بلا أن تراها وأكمل حديثه :

كلما كنت أفكر في خيار التخلي عنك، كان هاجس أن أذرك وحدك أمام صديقاتك اللواتي كنت تتغنين بحبي لك أمامهن، كانت الرعشة تغزوني، فألغ الفكرة من رأسي، وكل ما كان في خاطري أن تري أني لم أتخلى!

وأن يعلم الجميع أنك فتاة لا تترك!

هه، لذا لا يهم اليوم إن كنت ستفعلين ذلك!

أنزل بصره ليدها وقال :

_ فأنا..

لستُ أنتِ

أنا عادي جداً.. أُترَك..

نظرت له، فبكت!

تتابعت دموعها واحدة تلوى الأخرى، بلا صوت..

لم يستطع أن يرفع نظره لها، إذ كانت الدموع تملأ عينه،ابتسم ابتسامة خفيفة وحياها بيده قائلاً:

_ السلام عليك..

تسَّحب بخطوات ثقيلة، بينما أغمضت عينيها ووضعت يدها على رأسها، لتتمالك نفسها، توقف، وعاد لها قائلاً:

_ هل لي بطلب واحد..؟!

كانت عيناها متجمرة، وأطراف فمها ترتجف؛ لم تجب..

فقال ونبضه مختنق بحنجرته:

_ قد لا أجرؤ فيم بعد حتى على طلبه!

نزلت دموعه أمامها فقال:

_ أن.. أن أضمكِ!

تلعثمت بدموعها، فاقترب وضمها..

إنفجرت بكاءً، إعتصرت كل دموع أيامها، وذرفتها على كتفه..

لم يستطع أن يذهب، وقد رآها بلا أن يسد ظمأ روحه لعناقها، لم يكن عناق حب وشوق فقط، لعله كان عناق اعتذار على مالايدركه من حزن في قلبها تخفيه، وعتاب نهش روحها ليذرها في آخر الطريق نادمة على قربه!

لعله كان عناق اعتذار عن لحظات احتاجته بها ولم تستطع إخباره لانشغاله عنها، عن ليال كانت تغلق المحادثة وتنام باكية لكلمة قالها ولم تبح بذلك!

اعتذار لأنها أحبته ،وأوجعها وإن لم يكن قاصدا!

بعد أن هدأت ابتعدت عنه، نظرت إليه وقالت:

_ لن أستطيع قول أي شيء!

لن أستطبع كسر ذكرياتنا بإخبارك حقيقة مواجعي معك..

لن أستطيع أن أبرر موقفي فأضع ثقل الذنب عليك وأنت وحدك دوني!

لكن صدقني، هذا القرار الأفضل لي ولك..

لقد فكرت بالأمر طويلاً، لربما كنا نناسب بعضنا في الوقت الذي مضى، لكنك لا تعرف " **سرمد** " التي أنا عليها اليوم!

تنهد بعد أن إبتلع مرارة ما بحلقه قائلاً :

_ لا رغبة لي بتغيير قرارك..

ولن أثير تعاطفك للعودة!

وجهك يقول كل شيء!

فقط أريدك أن تعرفي أني والذي نفسي بيده، أحبك أكثر من أي شيء على هذه الأرض، وأني سأفعل ما أردته بلا عتب، حتى وإن كان ذلك، رحيلك!

أنا.. لا استحقك..

ابتسم لها وأردف قائلاً :

_ لكن بشرط واحد..!

حين أعود و أراقبك من بعيد: أريد أن أرى وجهك ضحوكًا ..

تحرريِ مني لتتوهجِ مجدداً..

أخذت نفسًا عميقًا تلعثمت فيه أنفاسها :

_ لن أفعل شيئاً، أنا لن أكون بخير دونك..

أنا أعلم أني قطعاً لن أحب بعدك!

وأعلم أيضاً أني لا أريد الحب..

أنا لا أريد شيئاً..

أتعرف..

سأخبرك بسبب واحد، يكفيك لتفهم حاجتي الحقيقة للابتعاد عنك، فلا تأكلك الظنون بأنك لست مناسباً.. وأني ما عدت أحبك.. وأني كنت أستغل وجودك وحين رحلت أدخلت غيرك لحياتي!

السبب يا **" مالك "**

أني مخلصة. .مخلصة جدا لمَ استأمنتني عليه داخلك، لأنني لا أستطيع أن أواجهك بضعفك!

لأني لا أستطيع أن أخبرك بكل شيء على حقيقته خشية كسرك!

وثمن هذا الإخلاص باهظ..

باهظ جداً يا مالك

ثمنه الندم!

سأسير معك وأتحمل وأحمل وأصمت، ستقارنني بتلك وتلك ولن أستطيع مقارنتك!

ستطلب مني الجمال والاهتمام والحب لكي أظل متوهجة بعينك وسأقبل بقليلك كي لا أشعرك بأي شيء لحبي الكبير لك..

سأتحمل كلام والدتك وأختك وأقف أمامهن في كل تدخل لهن بحياتنا وستقف أنت في صفهن ولن أجرؤ على عتابك، لأنها أمك!

ولأني زوجتك التي تقول لك أمك عنها كل يوم طلقها وأزوجك صباح الغد بستها!

سأتغاضى عن كلماتك التي تبعثرني، و صراخك في وجهي، و إهمالك لي مقابل أن أظل على ذمتك!

سيهشمني الندم لأنك اختياري أنا ولأني من أردتك وحاربت لتكون لي!

بينما تنتفخ فخراً بأن تقول لكل عابر لقد كانت متيمة بي!

أنا آسفة..

آسفة بحق، لأني أدركت ذلك قبل أوانه!

لكن..

أتعلم؟!

لقد أمضيت حياتي هنا في بيتي أحارب من أجل كل شيء!

كل شيء!

دراستي، خصوصيتي، كرامتي، حقي..

وحتى حبي لك..

لكن كل ما حاربت لأجله كان يزيدني فخراً..

أما أنت..؟!

فلم يزدني حضورك إلا قلقاً وخوفاً و أرقًا

لقد تغيرت مئة درجة في عام واحد من الخطبة!

لقد كنت آتيك باكية من سخرية إحداهن فتحملني للسماء لأرى نفسي بطريقة لا يراني بها أحد..

لقد كنت أشتكي لك خوفي وقلقي، فتوسع نبضي حبا واحتواءً فلا يظل مم كان في نفسي شيء..

لقد كنت بيني وبين كل شيء حاجزا ورادعا..

لقد كنت خير عوض لي عن أبي الذي لم أره يوماً..

ثم تبدلت!

تضحك مع أمك علي حين تعايرني بحبي لك..

تسفه من كلماتها التي تفتتني لأنها أمك، ولا يمكنك أن تقف بوجهها لأجلي..

ترضخ لكل ما تريده عائلتك بحجة أنك بار لهم..

وأنا لا أريدك إلا كذلك!

لكني متعبة..

" سرمد " التي تراها اليوم

متعبة اختارتك وحاربت لأجلك لأنك استطعت حملها سابقاً!

وها هو الندم يفعل بي فعلته

لست سيئا، ولست كذلك..

لكنني لست سرمد القوية!

لا أريد أن أحارب أكثر

أريد أن أهدأ

أن أطمئن..

أن لا أخاف..

أحبك وحدك..

لكني حين رأيتك جزءً من فسيفساء عائلتك، ثم فسيفساء المجتمع وجدتك مثلهم جميعاً..

لذلك سأتخلى..

صدقني، أنا أتخلى اليوم لأحتفظ بجمالك داخلي..

أنت الشيء الوحيد الذي أحبه

ولا رغبة لي بالمجازفة فيك..

أريد أن أحيا وفي قلبي وقود أشعله كلما شعرت ببرودة العجز والحزن أنني لست سيئة لست بلا قيمة..

فأقول في سري مالك قال ذلك وهذا يكفي!

تنهدت ثم مسحت دموعها، أمسكت يده وقبلتها، ثم وضعت يدها الأخرى على وجهه وقالت:

_ أنت لم تخذلني.. قط

فكما قلت قد فعلت كل ما يجعل أي رجل عظيماً جدًا بعين امرأته..

لكنها رؤاي.. و إدراكي الذي لا أستطيع تجاهله!

يبدو أن طفولتي أيضاً لن تجعلني أحب كما تحب بقية النساء، أنا القاسية هذه المرة!

لكن صدقني لقد كويت كل ذرات شعوري ورغبتي وحاجتي لقربك، فقط لأجل الحفاظ على هذا الحب الجميل الذي غمرتني به سابقا!

ضمته، فقال هامسا:

_ أنا لا أشعر بشيء اللآن!

لا يمكنني حتى البكاء!

غصَّ قائلاً:

_ لا أريدك أن تبتعدي عني، ولكني لا أقدر على منعك حتى بالوعود!

يبدو أن الحب وحده لا يكفي

فابتعدت قائلة:

_ أنا أقف الآن أمام دربين

إما أن أكمل معك وأربط عصابة على عيني حتى أخسر كل رصيد حبك في قلبي وأعاني الندم!

وإما أن أسير وحدي جسدا وأحمل ما تبقى من حب لك في قلبي لأجابه بك الأيام فتكون ملجأي..

بالحالتين سأعاني

لكن حتماً أن أتجرع علقم فراقك خيراً من أتجرعه على يديك!

أرجوك..

اعذرني بيتمي..

وسامحني، فلا يمكنني التنازل عن حبك ولا حتى لأجلك أنت!

وغادرت...